الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة، وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ المتَّقِينَ في ظِلالٍ وعُيونٍ ، وفَواكِهَ مِمَّا يَشتَهُونَ، كُلوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعملون ﴾ [المرسلات : ٤١ ـ ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ فأمَّا مَنْ أوتيَ كتابَهُ بيمينهِ فيقولُ هَاؤُمُ اقرأُوا كتابيَهْ ، إني ظَنَنتُ أني مُلاقٍ حِسَابيهْ ، فَهُوَ في عِيشةٍ رَاضيةٍ ، في جنةٍ عاليةٍ ، قطوفُها دانية ، كُلُوا واشْرَبُوا هَنيئاً بِمَا أسْلَفتُم في الأيامِ الخاليةِ ﴾ [الحاقة : ١٩ ـ ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ وتلكَ الجنةُ التي أُورثتُموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف : ٧٢] . وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتقونَ تَجري مِنْ تحتِها الأنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها ﴾ [الرعد : ٣٥] . وقال تعالى : ﴿ وأَمْدَدناهم بفَاكِهةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يشتهونَ ، يتنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ [الطور : ٢٢ ـ ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ يُسقَونَ مِنْ رَحِيقٍ مَختومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وفي ذلكَ فلتنافسِ المتنافسونَ ﴾ [المطففين : ٢٥ ـ ٢٦] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يأكلُ أهلُ الجنةِ، ويشربونَ، ولا يمتخطونَ ولا يتغوطونَ ولا يبولونَ ، طعامهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلهمونَ التسبيحَ والحمد كما تُلهمونَ النفسَ »[1] ورواه أيضاً : من رواية طلحة بن نافع، عن جابر وفيه قالوا: فما بالُ الطعامِ ؟ قال : «جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ ، يُلهمونَ التسبيحَ والتحميدَ »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٩) و(٢٠) في صفة الجنة : باب (٧) في صفات الجنة وأهلها .

(٢) قطعة من حديث عند مسلم (٢٨٣٥) (١٨) في صفة الجنة : باب (٧).

وفي « المسند » و« سنن » النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم، تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلون ويشربونَ ؟ قال : نعم ، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليُعطىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشربِ والجماعِ والشهوةِ، قال : فإنَّ الذي يأكلُ ويشربُ تكون له الحاجةُ وليس في الجنة أذى، قال : تكون حاجةُ أحدهم رَشْحاً يفيضُ من جلودهم كرشحِ المسكِ فيضْمُرُ بطنُهُ »[1] .

ورواه الحاكم في « صحيحه » ولفظه : « أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فقال : يا أبا القاسم، ألستَ تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها ويشربونَ ؟ ـ ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصمته ـ فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ ، إن أحدَهم ليُعطى قوةَ مئةِ رجلٍ في المطعم والمشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودي : فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجةُ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : حاجتُهم عَرقٌ يَفيضُ من جلودِهم مثلَ المسكِ ، فإذا البطنُ قد ضُمِّر »[2] .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج، عن عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن مسعود، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنَّك لتنظرُ إلى الطيرِ في الجنةِ فتشتهيهِ، فيخرُ بينَ يديكَ مشوياً »[3] .

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبدالله بن سلام : في أول طعام يأكله أهل الجنةِ، وشرابهم على أثره ، وحديث أبي سعيد الخدري : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خبزةً واحدةً يتكفأُها الجبارُ بيدهِ نُزلاً لأهلِ الجنةِ »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ٣٦٧/٤ و٣٧١ ، والنسائي في « الكبرى » في التفسير كما في « تحفة الاشراف » (٣٦٥٨)، والطبراني في « الكبير » (٥٠٠٥) و(٥٠٠٦) .

(٢) لم نجده في « مستدرك الحاكم . وأخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٢) ، وابن أبي شيبة ١٠٨/١٣ ـ ١٠٩ ، وذكره السيوطي في «الدر» ٤١/١ .

(٣) أخرجه البزار (٣٥٣٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٥٣)، وذكره في «مجمع الزوائد» ٤١٤/١٠، وفيه حميد بن عطاء وهو ضعيف.

(٤) تقديم تخريجهما ص ٢١٠ (٢) .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثني الفضل بن المختار ، عن عبيد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطْمي ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنةِ طيراً أمثالَ البخاتي ، فقال أبو بكر : إنها لناعمةٌ يا رسولَ اللهِ ، قال : أنعمُ منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »[1] .

قال الحاكم : وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، أنبأنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولحمِ طيرٍ مما يشتَهونَ** ﴾ قال : ذُكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسولَ اللهِ، إني لأرى طيرَ الجنةِ ناعمةً كما [أن] أهلها ناعمونَ ، قال : «من يأكُلها أنعمُ منها ، وإنها أمثالُ البخاتي ، وإني لأحتسبُ على اللهِ أنْ تأكلَ منها يا أبا بكرٍ »[2] ، وبهذا الإسناد عن قتادة، عن أبي أيوب رجل من أهل البصرة، عن عبدالله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿ **يُطافُ عليهم بصِحافٍ من ذهبٍ** ﴾ [الزخرف : ٧١] ، قال : يطافُ عليهم بسبعينَ صَحْفة من ذهبٍ كلُّ صحفةٍ فيها لون ليس في الأخرى[3]».

وقال الدراوردي : حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه عبدالله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في الكوثر : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « هو نَهَرٌ أعطانيهِ ربي أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسل، فيه طُيورٌ أعناقُها كأعناقِ الجزُرِ»، فقال عمرُ بنُ الخطاب: إنها يا رسولَ الله لناعمةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «آكلها أنعمُ منها»[4] تابعة إبراهيم بن سعد عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٤)،وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ ولم ينسبه إلى غير البيهقي، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ وقال : غريب من حديث حذيفة .

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٥) .

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٥٦) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) في صفة الجنة : باب (١٠) ما جاء في صفة طير الجنة، وقال : حديث حسن غريب، والبيهقي في « البعث » (٢٩١) ، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وكأسٍ من مَعينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٨] . يقول : الخمر [وقوله :] ﴿**لا فيهَا غَوْل**﴾ [يقول] : ليس فيها صداع، وفي قوله [تعالى] : ﴿ **ولا يُنزِفون** ﴾ [الواقعة : ١٩] يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله [تعالى] ﴿ **وكأساً دِهاقاً**] [النبأ : ٣٤] يقول ممتلئة ، وقوله : ﴿ **رَحِيق مختوم** ﴾ [المطففين : ٢٥] يقول : الخمر ختم بالمسك. وقال علقمة، عن ابن مسعود : ﴿ **خِتامُهُ مِسْكٌ** ﴾[1] [المطففين : ٢٦] . قال : خلطه، وليس بخاتم [ثمَّ] يختم .

قلت : يريد ـ والله أعلم ـ أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله [تعالى] : ﴿ **ختامُه مِسْكٌ** ﴾ فقرأ ﴿ **خاتمهُ مسكٌ** ﴾ فقال لي علقمة : ليست خاتمه ، ولكن اقرأها ﴿ **ختامُهُ مِسْكٌ** ﴾ قال علقمة : ختامه : خَلْطه ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب : إنَّ خَلْطه من مسك ، لكذا وكذا[2] .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة ، عن مسروق الرحيق : الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك، وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبدالله في قوله [تعالى] : ﴿ **ومِزَاجُه من تَسْنِيمٍ** ﴾ قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً[3] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في « التفسير » ١٠٦/٣٠ مختصراً، والبيهقي في «البعث» (٣٥٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٦٠)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦، ونسبه إلى عبد بن حميد مختصراً، وإلى ابن الأنباري في «الوقت والابتداء» ولم أجده، وله شاهد من حديث ابن مسعود كما في «الدر» أيضاً ونسبه إلى الفرياني، والطبراني، والحاكم.

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٢)، وابن أبي شيبة ١٤٢/١٣ ، وابن جرير ١٠٨/٣٠ ، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٢٢)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٨/٦ ونسبه إلى سعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وكذلك قال ابن عباس: يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج لمن دونهم[1].

وقال: ﴿ ختامُه مسكٌ ﴾ يقول: طينه مسك[2] وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير. ولفظ الآية أوضح منه. وكأنه ـ والله أعلم ـ يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدُّردِيِّ.

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي الدرداء في قوله: ﴿ خِتَامُه مِسكٌ ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها[3].

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة، عن عطاء قال: ﴿ التَّسنيمُ ﴾: اسم العين التي يمزج بها الخمر[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وكأساً دِهاقاً ﴾ [النبأ: ٣٤] قال: هي المتتابعة الممتلئة. قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا[5]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ إنَّ الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مِزاجُها كافوراً، عيناً يشربُ بها عبادُ الله يفجِّرونها تفجيراً ﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٦] وعلى قوله: ﴿ ويُسقونَ فيها كأساً كان مزاجُها زَنْجبيلاً. عَيْناً فيها تسمى سلسبيلاً ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/١٠٩، والبيهقي في «البعث» (٣٦٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨ بألفاظ متقاربة ونسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٤).

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٥)، وابن جرير ٣٠/١٠٧، والسيوطي في « الدر المنثور » ٦/٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وفيه: ريحها بدل طيبها.

(٤) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨.

(٥) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٨)، والحاكم ٢/٥١٢، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وابن جرير ٣٠/٢٠، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٠٩ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، ومجاهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[الإنسان : ١٦ ـ ١٧] ، فقالت فرقة : سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل، وسبيلاً منصوب على المفعول، أي سل سبيلاً إليها، وليس هذا بشيء ، وإنما السلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد سعى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة، فقال قتادة : سَلِسة لهم يصرفونها حيث شاؤوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر؛ وقال مجاهد : سلسة السبيل حديدة الجَرْية ، وقال أبو العالية والمقاتلان : تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحِدَّة جَرْيتها ، وقال آخرون : معناها طيبة الطعم والمذاق. وقال أبو إسحاق : سلسبيل : صفة لما كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك .

وقال ابن الأنباري : الصواب في سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للعين ، واحتج على ذلك بحجتين :

إحداهما : أن سلسبيلاً مصروف، ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً .

قلت : ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف : فلاقتضاء رؤوس الآي له كنظائره ، وأما قول ابن عباس : فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة [إلاَّ] الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر . فإن قيل : فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ ﴿ كُنْ ﴾ وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « مَجامرُهم الأَلُوَّةُ »[1] و« المجامر » : جمع

---

(١) تقدم مطولاً ص ١٥٥ ت (١) .

مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه ، و« الألوة » : العود المطرَّى ، فأخبر أنهم يتجمرون به، أي يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال : ﴿ **هم وأزواجهُم في ظِلال على الأرائك متَّكئونَ** ﴾ [يس:٥٦] وقال : ﴿ **إن المتقينَ في ظلالٍ وعيونٍ** ﴾ [المرسلات : ٤١] . وقال : ﴿ **ونُدْخِلُهم ظلاًّ ظَليلاً** ﴾ [النساء : ٥٧] . فالأطعمة والحلوى والتجمر يستدعي أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو ربّ كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاءً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالاً، فربُّ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحكم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه [وتعالى] مقصورة عن أسباب أخر، ومسببات ينشئها منها كما لم تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته ، وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب [سبحانه وتعالى] فيها بالعيان والمشاهدة، أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنور المناسب لها ، أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة، ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ، ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل

إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر، أحكم بناءً، أعجب من إخراجه من أكمام تتفتق عنه شجر هناك ، قد أودع فيها، وأنشىء منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها ، وجعلها آيات دالة على كمال قدرته، وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها،وتجدهما من مشكاة واحدة، ورب واحد، وخالق واحد، وملك واحد، فبعداً لقوم لا يؤمنون .